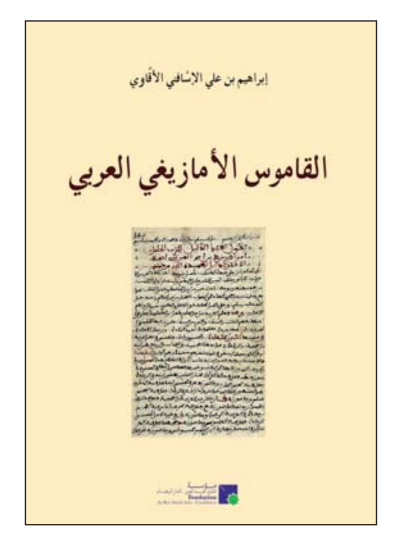


Ibrāhīm bin ʿAlī al-'Issāfinī al-'aqqāwī.- ***Al-qāmūs al-'amāzīghī al-ʿarabī.*** **Taḥqīq wataqdīm ʿabd 'Allāh khalīl (ad-Dār al-baydā': manshūrāt mu'assasat 'al-malik ʿAbd al-ʿazīz, 2014), 643p.**

إبراهيم بن علي الإسَّافِني الأقَّاوي.- القاموس الأمازيغي العربي، تحقيق وتقديم عبد الله خليل (الدار البيضاء: منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز، 2014)، 643 ص.

صدر عن مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء سنة 2014 كتاب يحمل عنوان القاموس الأمازيغي العربي، وهو عبارة عن تحقيق لمخطوط ألفه إبراهيم بن علي الإسَّافني الأقَّاوي المعروف بالمرتيني في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي تحت عنوان "السُّرى للسعادة بالحسنى وزيادة." ويرجع الفضل في نفض الغبار عن هذا القاموس وإخراجه من سجن خزائن المخطوط إلى عموم القراء قصد الاطلاع عليه والاستفادة من مادته إلى عبد الله خليل الذي دخل هذه المغامرة على الرغم من توفره على نسخة وحيدة فقط تعامل معها على أنها فريدة، وهي نسخة المؤسسة التي سهرت على عملية النشر والتحقيق.

ويقع الكتاب من الحجم الكبير والحلة الأنيقة ذات الغلاف السميك في 643 صفحة، ويضم فضلا عن الشكر والإهداء ما يأتي:

-. مقدمة المحقق: وتتكون من 17 صفحة كشف فيها صاحبها عن أهمية المخطوط الأمازيغي وضرورة إخراجه وتحقيقه خاصة في هذه المرحلة التاريخية التي تعرف فيها اللغة الأمازيغية نهضة ملحوظة لعل أبرز معالمها هي دسترتها باعتبارها لغة رسمية. وتعرض فيها أيضا إلى بعض القضايا اللغوية والمعجمية المتعلقة باللغتين الأمازيغية والعربية، وخصص حيزا مهما منها للتعريف بالمخطوطة وحياة صاحبها وشيوخه ومؤلفاته، مسلطا الضوء على عمله في تحقيقها وإخراجها. ثم ذيل المقدمة بخريطة خاصة بمنطقة سوس أخذها عن أفا (1988: 72-73) وبصورة للصفحة الأولى من المخطوطة.

-. الكتاب المحقَّق: وهو ما سماه إبراهيم بن أحمد الإسَّافني الأقَّاوي بـــ"السُرى للسعادة بالحسنى وزيادة،" وعنونه عبد الله خليل في متن المؤلَّف بالمعجم، وهو زمنيا، حسب المحقِّق، "ثاني أهم مؤلف في هذا الفن بعد قاموس الهلالي الذي سبقه" (14)، ويضم 508 صفحة موزعة

Journal Indexed in Emerging Sources Citation Index (Web of Science)
Covered in *Clarivate Analytics* products and services, ISSN: 0018-1005

على مقدمة من خمس صفحات ضمَّنها صاحبها ستة فصول كشف فيها عن دواعي التأليف ومنهجه، والمصادر المعتمدة ورموزها. وقد ذيل المحقِّق المعجم بصورة للصفحة الأخيرة من المخطوطة.

-. الفهارس: وتشمل فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث، وفهرس الشعر، وفهرس الأمثال، وفهرس الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع.

-. الكشاف: ويضم كشافا للكلمات الأمازيغية الأصلية، وآخر للكلمات ذات الأصل العربي.

والمخطوطة التي يضعها اليوم عبد الله خليل بين يدي القارئ تندرج ضمن التأليف في مجال المعجم الأمازيغي الذي تعود بداياته، حسب مجموعة من المتخصصين وعلى رأسهم نيكو ڤان دين بوخارت (Nico van den Boogert) (كشف الرموز، 1998 *La révélation des énigmes*) إلى القرن الثاني عشر الميلادي. حيث عرفت هذه المرحلة التاريخية حركة دؤوبة في هذا الشأن توجت بمجموعة من المؤلفات حار الباحثون في تسميتها، فأحالوا عليها حينا بـ"لوائح الأسماء،" و"كشف الرموز،" ولقبوها أحيانا أخرى بـ"القواميس المزدوجة،" و"المعاجم" (بوخارت 1998: 9).

وتتسم هذه المؤلفات بطابعها الثنائي العربي الأمازيغي، أو الأمازيغي العربي، ولا غرابة في ذلك مادامت تتوجه إلى مستعمل مزدوج اللغة، رضع الأمازيغية لغة أُمّا وتربى في كنفها، وتعلم العربية في الكتاتيب والمدارس العتيقة. ولم يخرج قاموس المرتيني عن هذه القاعدة، فينطلق من الأمازيغية للوصول إلى العربية، وهو اختيار محكوم بالهدف من التأليف الذي هو تعليمي صرف توجه صاحبه من خلاله إلى طلبة المدارس وحفظة القرآن الذين لا يفقهون من العربية سوى قليلا وذلك قصد تيسير ما يتعلمونه، ومساعدتهم من ثَم، على كتابة العقود والرسائل وغير ذلك من المهام الموكولة إلى الطالب الفقيه الإمام (15). وحسب المحقق، فإن "السرى،" معناه تلمس الطريق ليلا، وهو أيضا الإبكار في إدراك السعادة التي لن تتأتَّى إلا بتعلم اللغة العربية.

وتجدر الإشارة إلى أن قاموس السرى الذي قضى المرتيي في تأليفه زهاء ثلاثين سنة يتميز بغزارة مادته وموسوعية معلوماته، إذ يضم حسب المحقق ما يقارب 4000 مدخلا معجميا رُتبت باعتماد حروف المعجم وليس مواضيعه، ووزعها على ستة وعشرين بابا، بدأه بباب الباء وأنهاه بباب الهاء مرورا بـالأبواب الأخرى التي نظمها في البيت الآتي:

بتٍ جحخ دال رزط كلمن صا ضايٌ ضعغْ فقٍ كسش هويا

وقد اختار المؤلف الحرف الثاني أساسا للترتيب قائلا: "فاعلم أنني اخترت الحرف الثاني من الكلمة العجمية، لأنها لا تتغير عندهم في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، بخلاف الحرف الأول" (26)؛ وإذا كان الاختيار مفهوما فيما يتعلق بالوحدات المعجمية التي تبدأ بحرف غير أصلي من قبيل "تَفُلُّسْت: دجاجة" التي جاءت تحت باب الفاء، يبدو الأمر غير منطقي مع نظيرتها التي يعد فيها الحرف الأول جذريا، كما هو الحال مثلا في المدخل "فَدْ: عطش" التي وردت تحت باب الفاء، أو في المدخل "صَّحْتْ: صحة،" ذات الأصل العربي، والتي جاءت في باب الحاء. وقد ترتب عن هذا الخيار أحيانا إيراد المذكر والمؤنث تحت بابين مختلفين، فلفظة "مْرَو: عشرة" على سبيل المثال، أتت تحت باب الراء، في حين جاءت صورة المؤنث "تَمْرَوْت: عشرة" تحت باب الميم. وكان حريا بالمحقق أن يقوم بتدارك الموقف في الكشافين، بدل اعتماد نفس الترتيب الذي لم يتوان في انتقاده مصرحا بعدم قبوله إياه خاصة في الكلمات ذات الأصل العربي.

أما عن طريقة تدوين المتن الأمازيغي وتقطعيه، فلم يخصص المحقق حيِّزا من مقدمته لعرضها مكتفيا بقوله: "ضبطنا الألفاظ الأمازيغية كلما تم ضبطها في الحاشية، وتركناها على ما هي عليه على الرغم من اختلافنا أحيانا معه أو اختلافها مع الشائع والمتداول مؤمنين باختلاف النطق بين المناطق" (18)، ومشيرا في حديثه عن "بعض الظواهر الأمازيغية في سوس" إلى طريقة تدوين بعض الحروف، مثل الجيم والزاي المفخمتين والكاف المعقودة، إلا أنه لم يعتمدها في كتابة المتن سواء في المعجم أو الكشافين، ففي حديثه مثلا عن الزاي المفخمة يقول: "تكتب على صورة الضاد بثلاث نقط" إلا أنه كتبها في جميع أمثلة القاموس ضادا تحتها سطر، ويسري الشيء نفسه على الكاف المعقودة التي دونها كافا تحتها سطر، وهذا على الرغم من إشارته إلى أنها تصور بثلاثة نقط فوق الحرف المعني. أما عن الصوائت، فلم يلمح إليها بتاتا مكتفيا بكتابتها على الطريقة العربية وفق ما يُعرف بـ"شكل الحروف،" وقد ارتأينا أن ندون الأمثلة اعتمادا على نفس الطريقة تسهيلا للوصول إليها.

ويُلاحظ من حيث طبيعة مداخل القاموس غلبة الأسماء عليه، فأفعاله قليلة جدا لأن صاحبه "اختار الاسم عن الفعل في العجمية" (27)، فاكتفي في حالات عديدة بتدوين الأسماء دون مقابلاتها الفعلية، فتجد، على سبيل المثال اسما من قبيل "أَمْضَيْ: تذوق" دون فعله "مْضِ: تذوق" و"تَرُلَ: هروب" دون "رْوْلْ: هرب." وعلى الرغم من تأكيد المؤلف على اختياره المذكر عن المؤنث والمفرد عن الجمع، فإنه كثيرا ما أورد الصورتين معا، فتجد صورة المؤنث غير بعيدة عن صورة المذكر، وقد ترد مباشرة بعدها، أو يأتي بالجمع دون المفرد أو بهما معا.

أما الأفعال القليلة التي يتضمنها المؤلَّف، فقد وردت في صيغة التام مسندة إلى ضمير المذكر الغائب مثل "يُرِّ: رجع،" و"إكْسَ: رعى وسرح،" ومتى كان الفعل متعديا جاء معه مفعوله المباشر كما في "يُفَ كدا: وجده،" و"يُسَتْ: رفعه" أو غير المباشر كما في "إِقْسَسْ كدا: لدغه ولسعه." ودونت هذه الأفعال ومفعولاتها المضمرة، سواء في المعجم أو في الكشافين باعتبارها كلمة إملائية واحدة دون بياض يفصل بين مكوناتها.

وقد احتل المعجم العربي مكانة مميزة في هذا القاموس، فكشاف الكلمات ذات الأصل العربي ضم 2137 مدخلا، في حين لم يتجاوز نظيره الذي شمل الكلمات الأمازيغية الأصلية 1760. ولا غرو في ذلك مادام الهدف من وضع هذا القاموس لا يكمن في "معرفة ألفاظ العجمية، وإن كان معرفتها مهما، وإنما المراد بها أن تكون سببا ومعرّفا لألفاظ العربية التي ترادفها في المعنى" (16)، وهذا ما يفسر الأهمية الكبيرة التي أعطيت للوحدات المعجمية العربية، ففي الوقت الذي يكتفي فيه القاموس بإيراد المدخل الأمازيغي دون إضافات لغوية إلا في حالات نادرة، يسهب في منح المعلومات الصرفية والدلالية حول المقابل العربي موظفا مختلف القواميس العربية مثل القاموس المحيط، والصحاح، وفقه اللغة...إلخ، بل إنه لا يتوقف في حالات عديدة عند المستوى اللغوي، فيورد الحديث الذي ذكرت فيه اللفظة إن وجد، وقد يأتي بحديثين أو أكثر، ويخوض في النوازل، ويورد الأخبار والفوائد والنوادر حتى يكاد القارئ ينسى أن الأمر يتعلق بقاموس أمازيغي عربي، بل يخال أحيانا أنه أمام قاموس موسوعي عربي أحادي اللغة، قسمه صاحبه إلى قسمين؛ قسم لغوي صرف أسماه "الحسنى في فهم العربية من العجمة،" وقسم موسوعي دعاه "الزيادة في فوائدها العجيبة." ولاغرابة في هذا مادامت الغاية التي سعى إليها المرتيني من تأليف هذا المعجم هي تصحح دلالة اللفظة العربية كما يتمثلها الطالب الأمازيغي.

ويتبن مما سبق أن المحقق قد بذل مجهودا كبيرا في إخراج القاموس من خزانات المخطوطات ليكون في متناول كل مهتم، فحاول نقل متنه كما أراده له صاحبه أن يكون، تاركا التصحيف في غير الآيات القرآنية كما هو مشيرا إلى ذلک في الهامش، وأعاد تنظيم تسلسل الصفحات حسب الترتيب الأبجدي للأمازيغية مضيفا بعض عناوين الأبواب التي أغفلت، واعتمد عدة رموز ومختصرات لتسهيل استعمال القاموس والتمييز بين مختلف متونه، وخصص الهوامش للإشارة إلى رقم الآيات القرآنية والسور، وإلى التعريف بالأعلام، كما قام بإعداد فرش نظري لبعض الظواهر اللغوية في الأمازيغية، وإن غابت عنه أحيانا الدقة المطلوبة في ضبط المصطلحات اللسانية وتعريف الظواهر اللغوية، ثم استخرج المادة المعجمية وقسمها إلى قسمين، ضمَّ القسم الأول كشافا للكلمات الأمازيغية الصِّرْفة، وشمل الثاني الكلمات ذات الأصل عربي .

وختاما لابد من التأكيد على أهمية تحقيق التراث الأمازيغي المخطوط ورفع الحجاب عنه حتى يكون في متناول أيادي المهتمين والباحثين، وعبد الله خليل بتحقيقه لقاموس المرتيني يساهم في نفض الغبار عن مادة علمية مهمة تتجاوز المجال المعجمي واللغوي الصرف لتشمل مجالات أخرى يأتي التاريخ والأنثروبولوجيا في مقدمتها، وهو بذلك يسدي خدمة علمية كبيرة للغة والثقافة الأمازيغيتين بصفة عامة، وللمعجم الأمازيغي بصفة خاصة. إلا أنه يجب الحرص، في حالة إصدار طبعة جديدة، على مراجعة مقدمة المحقق تداركاً لبعض الأخطاء المتعلقة باللسانيات الأمازيغية.

نورة الأزرق
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط